وقفات وعبر مع سورة العلق (١)

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ونستعينه وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، (وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ) وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، (وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ)»

أيُّها المسلمون: في هذا المقام المُبارك سيكون الكلام حول سورة من كتاب الله، وهي: سورة العلق: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾ [العلق]

والسورة بكمالها تتحدث عن قضيتين:

الأولى: بدء الوحي.

(١) ألقيت بتاريخ ١٠ صفر ١٤٤٣هـ.

والثانية: ما جرى بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأبي جهل عمرو بن هشام.

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق]

هذه الآيات الخمس أول ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: « أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ... حَتَّىٰ جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»

-أي: ليس من شأني القراءة، بمعنى أنه أُمِّي، لا يكتب ولا يقرأ المكتوب-،

قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ**، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ ...وقرأ عليه الآيات» فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» ...، وَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، -وفي رواية: لَا يُحْزِنُكَ اللهُ أَبَدًا- إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ، **ثم أخذته إلىٰ ابن عمها** وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فسمع منه، فَقَالَ: هَذَا والله النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**»، -يعني استغرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو يرى أنه ليس في قريش رجل يكرهه، فكل يسميه الصادق الأمين، وكان من أنبل شبان قريش، وكان محبوبًا

لدى الجميع-؛ قَالَ له: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ. (١)

فهذه الآيات افتتح الله عَزَّوَجَلَّ بها كتابه الذي نزل في رمضان في ليلة القدر.

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾

وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ [الدخان: ٣]

وقال: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

هذا أمر من الله لنبيه: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق: ١] مستعينًا باسم ربك، ومتبركًا به. ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ يُبيِّن الله فيها، مبدأ خلق الإنسان، أنه من علقة. وبيَّن في آية أخرى أن قبل العلقة نطفة، وقبلها خلق آدم من تراب.

﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾، تكرير من الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر لنبيه بالقراءة، ولفت نظره إلى كرم الله جَلَّوَعَلَا، على القارئين، فإذا قال إنسان سأقرأ القرآن من أجل اكتساب الأجر والحسنات، نقول له: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾، لو قال:أقرأ القرآن ليزداد إيماني، نقول له: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾، لو قال:أقرأ القرآن لأتدبره وأتفهم معانيه، نقول: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ فسيفتح عليك من الفهوم بما شاء جَلَّوَعَلَا. لو قال:أقرأ القرآن لأستشفي به في مرضي أو مرض غيري، نقول: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾. فكرم الله عَزَّوَجَلَّ على القارئين كثير وكبير جدا.

وكم ممن يقرأ القرآن على وجه الأرض على مرِّ الدهور وعلى مرِّ الأزمان وعلى مرور الأيام والشهور والسنوات، والناس يقرءون القرآن لشتى المقاصد التي سمعتموها، والله عَزَّوَجَلَّ يكرمهم بما قصدوه وبما أرادوه ويتفضل عليهم بفضله.

(١) رواه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠)

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»(١)

فالقرآن سبب للرفعة في الدنيا والآخرة. قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت]،

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد] وقال: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر]

وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء]

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس]

هذه الآيات وما شابهها تشير إليها هذه الآية الكريمة: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾.

ثم قال: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾. هذا حصر لجهة التعليم أنه علَّم بالقلم، والذي يتعلم بغير قلم، فإنما يتعلم من شخص تعلم بالقلم، لو أن رجلا لا يستطيع الكتابة فيقرئه إنسان القرآن، ذلك الإنسان تعلَّم بالقلم.

وفي هذا رد على الذين يدعون أن عندهم العلم اللدني فيقولون: إنهم يأخذون العلم عن الله عَزَّ وَجَلَّ مباشرة مستغنين عن الكتب وعما جاء عن الأنبياء، فيقول أحدهم: حدثني قلبي عن ربي، وما هي إلا وساوس شيطانية، وتُراهات، وخرافات أمْلتها عليهم

---

(١) رواه أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٣١٤١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود ط غراس (١٣١٧) وحسنه شيخنا العلامة الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥٤)

الشياطين، ودخلوا في أشياء محيرة، وأشياء فيها من الجهل، ما الله به عليم.

ويدَّعي أحدُهم أنه حدثه قلبه عن ربه بكذا، وربما جاء الذي مثله فيدَّعي أنَّ ربه حدثه بضد ما حدث الأول، فبقول من نأخذ؟ وبقول من نصدق؟

فهكذا الباطل، فالله يقول: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ فعلَّم الناس بالقلم.

وهكذا الذين يقولون:إن عندهم علم الأقدام، ولا يريدون علم الأقلام، وقصدوا بالأقدام: أن يخرجوا من بلد إلى بلد على ما هم فيه من جهلهم.

ثم قال: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ٥].

هذا هو واقع الناس جميعًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل: ٧٨]. فعلَّم الله الإنسان ما لم يعلم، سواء من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة، فتعلم الناس من علوم الدنيا، ما طاروا به في الهواء، ومشوا به في البحار، ومشوا به في البرية، واخترعوا الصناعات واخترعوا الأشياء التي تُحيِّرُ العقول عند النظر فيها، هذا من تعليم الله عَزَّوَجَلَّ لهم.

ولكن من جعل علمه الدنيوي خادمًا لدين الله عَزَّوَجَلَّ، نفعه الله بذلك، ومن تعلم علوم الدنيا وترك دينه، وأهمل تعلم العلوم الدينية، ولم يطع الله بل عصى أو كفر، فهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم].

فإنه لعجب أن ترى الرجل يصنع الطائرة ويعجز عن أن يعقل عقله أنه لا إله إلا الله

فهذا يدلك على أن الفهم في أمور الدنيا، ليس دالًا على عقل رشيد، إنما هو عقل يُسيِّر الأمور الدنيوية، فقدروا بعقولهم أن يصنعوا، ولكن عجزت عقولهم أن يوحدوا الله، وأن يقبلوا دين الله، فهؤلاء لا شيء، لا شيء إنَّما هم خدام لبني آدم، فلا يهولنك الأمر

إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعل شرذمة من أهل النَّار يخدمون بني آدم، فلا يسوؤنك ذلك.

من قدَر من المسلمين أن يتعلم علوما دنيوية، فهذا مما أحله الله، ومما يشكرون عليه لكن لا ينبغي للمسلم أن يحتقر المسلمين؛ لأن الكفار عندهم من الصناعات كذا

وكذا، لا يهولنك ذلك، فلا يؤسفك أنَّ شرذمة من أهل النَّار يخدمون بني آدم وكونهم يأخذون قيمة ذلك أو أجرة عملهم فلا مانع من اشتغل أكل حتى الحمار، من اشتغل أكل فهذه أجرتهم على أمور عملوها من أمور الدنيا، فليأخذ الإنسان هذا الأمر بدون تكلف ولا انزعاج.

مع أننا نقول:يشكر المسلم الذي عنده خبرة في الصناعات، ولكن لا يحتقر أحد المسلمين؛ لأن أولئك صنعوا طائرات أو باخرات أو تليفونات، أو غير ذلك، فالله يقول: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم].

ولئن كانوا جاءوا بهذه الأشياء، فنحن نأتي بالعقيدة، ونأتي بالإسلام ونأتي بالإيمان من كتاب الله ومن سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، الذي يعيش به المسلم في الدنيا مرفوع الرأس وهو كريم على مستوى الدنيا بأسرها، فهو أكرم من على وجه الأرض.

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]

ثم ينتقل إلى الدار الآخرة، فيكون قبره روضة من رياض الجنة، ويحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثم يرفعه الله إلى الدرجات العلية في الجنة.

أقول ما تسمعون والحمدُ لله ربِّ العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. **أمَّا بعد**:

فبعد هذا بدأت قصة أبي جهل مع التمهيد لها بالإشارة إلى طغيان أبي جهل الذي أطغاه ماله، أطغاه قوة المال، وقوة البدن، وقوة الجاه، فهذا كان سببًا لطغيانه.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾

إذا استغنى بماله واستغنى بجاهه واستغنى بقوته جاءه الطغيان وكل إنسان يكون عنده الطغيان بهذه القوى، على قدر ما عنده من الجهل والغفلة والبُعد عن الله.

وإن كنا نعلم أن من الناس من عنده قوة المال والبدن والجاه، ومع ذلك لم يقع في الطغيان.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»(١)

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ**»(٢)

فالسياق هنا فيمن أطغاه ماله.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ ﴾ [المؤمنون]

فهذه النتيجة لغالب المترفين، أنهم يؤخذون بالعذاب.

وقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ ﴾ [سبأ]. فانظر: كيف كانوا هم المعارضين لكل نبيّ.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا﴾ استثناء بعد نفي، يدل على العموم، هذه مشكلة أمام جميع الأنبياء وهم المترفون، الأغنياء الذين أطغاهم مالهم.

ولا يخفى عليك، ما الذي سيحصل من رجل طاغية، لا يقف أمامه أحد، سيظلم الصغير والكبير، سيقتل النفس المُحرَّمة، سينتهك الأعراض، سيؤذي الصالحين، سيفعل وسيفعل.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾

فلهذا يا عبد الله: إنْ منَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليك بقوة مال أو قوة بدن أو قوة جاه فإيَّاك أن تطغيك تلك القوى بل اجعلها مسخرة في مرضات الله عَزَّوَجَلَّ وإرجاع الحقوق إلى أهلها والرحمة بالمسلمين وغير ذلك.

ثم قال: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ ﴾: إشارة إلى أن هذا الذي أطغاه ماله سيدع

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد (١٧٧٦٣) عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه العلامة الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (٤٥٤). وشيخنا العلامة الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٢٠٢٤)

ماله، ويدع قواه كلها ويرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقيرًا ضعيفا ويحشر عريانًا موبقًا بعمله في عرصات القيامة، لا ينفعه ماله، وقد تخلى عنه ماله وأهله وعشيرته وأقرباؤه وأنصاره، ذهب الجميع وأصبح وحيدًا. ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحجر]

ينتهي كل شيء، وبعد أن يموت الخلق أجمعون ينادي المنادي: «**لِمَنِ الْمُلْكَ الْيَوْمَ**» ؟ فلا يجيبه أحد، فيكون الجواب: «**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**»(١)، الذي قهر الناس أجمعين، وقهر الخلق أجمعين وانتهت الدنيا وذهبت الدنيا بأسرها، وأصبح الملك لله جَلَّوَعَلَا وحده

نعم **يا معشر المسلمين**: ثم قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾

هذا تلطف في النصيحة لأبي جهل؛ لأنه كان ينهى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ عن الصلاة عند البيت حتى إنه قال له مرة: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ فَزَبَرَهُ – أي أغلظ له القول–، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي، يعني مجلسه الذي يحضره الرجال، أكبر مجلس، أنصاره وأصدقاؤه أكثر من في مكة من الكبراء. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾. وهذا في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقد تعددت ألفاظه. وكان أبو جهل يقول للمشركين: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ. فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «**لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ المَلاَئِكَةُ**» وفي لفظ: « **لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ المَلاَئِكَةُ عِيَانًا**»(٢)

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٧٦٤٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأصله في الصحيحين بمعناه، البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦). وفي الباب عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا موقوفا عليه. رواه الحاكم في المستدرك (٣٦٣٧) وصححه على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري (٤٩٥٩) والترمذي (٣٣٤٨، ٣٣٤٩). والنسائي في السنن الكبرى (١٠٩٩٥) وأحمد في المسند (٢٣٢١، ٣٠٤٤، ٣٤٨٣) وقوله: «... **لَأَخَذَتْهُ المَلاَئِكَةُ**» هذا اللفظ للبخاري واللفظ بعده للترمذي ومن بعده. وفي لفظ آخر للترمذي والباقين «**وَاللهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللهِ**»

وقال ابن عباس : وَاللهِ لَوْ تَحَرَّكَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ(١).

وجاءت القصة مبينة بلفظ آخر أطول من هذا وهو أنه قال: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**»(٢)

وبهذا يتبين لك شدة قلب أبي جهل، وقد رأى هذا بعينه ما دفعه ذلك إلى الإسلام، فمن الناس من خَلَقَهُ الله هكذا. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧]

فهذا رأى الملائكة بعينه، ورأى خندقًا من نار، ورأى أهوالًا حالت بينه وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك هو يُصرُّ على أنه يريد الإساءة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ واستمر ذلك حتى قتل كافرًا.

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾

يا أبا جهل أرأيت إن كان هذا الذي تنهاه على هدى؟

﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ ﴾. هو يأمر بالتقوى، أوَ يستحق أن تنهاه وهو على هدى ويأمر بالتقوى، فلماذا تنهاه عن السجود؟

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٣٩) والطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٩٨). وانظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣/ ٥٣٦)

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يا إخوة بعض الناس به صفة من أبي جهل ولو لم يكن كافرًا، إذا منع ابنه من الصلاة وألزمه بالبقاء في دكان أو في مكان حراسة أو غير ذلك، فلا يأمن أن يكون قد هذا اقتبس قبسًا من أبي جهل، لا يأمن على نفسه. ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾ بل ربما بعض الفجرة يمنع زوجته أو ابنته أو ابنه من الصلاة، هذا به قبس من أبي جهل، وشبه من أبي جهل.

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ ﴾ أي:أيستحق أن تنهاه؟

ثم عطف بالقول على أبي جهل فقال: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ ﴾ يعني:إذا كان أبو جهل كذَّب محمدًا وتولى عن الحق وعن قبوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ ﴾ والله ينظر إليه وقادر على أن يعاقبه.

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ وكلّا هنا بمعنى حقًا، حقا ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ قيل:نسفع أي نجعل سفعة سوداء في وجهه، وقيل:يؤخذ بناصيته فيجر ويجتمع له الأمران، لا يمنع أن الله يُسوِّد وجهه ويأخذه بناصيته.

ثم وصف الله ناصية أبي جهل، بقوله: ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾ وهم ملائكة العذاب، ولئن كان قد فر آنذاك، فقد جاءته بعد ذلك، وعُذِّب وقُتِلَ كافرًا في بدر، وهو في عذاب إلى اليوم في قبره وإلى يوم القيامة وفي أرض المحشر ثم في نار جهنم أبد الآبدين يُعذِّبه الزبانية.

ثم قال الله لنبيه: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾، لا تبالِّ بنهيه إياك، فإنه لا سبيل له عليك، اسجد عند بيت الله وحيث ما شئت، واقترب بسجودك من الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ**»(١)

أنت بسجودك تقترب من الله عَزَّوَجَلَّ.

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ١٩ ﴾ ، ولا تبالِ بكلام هذا الطاغية، الفاجر الذي لا سبيل له عليك، ولا قدرة له على أذيتك.

وهكذا يقال لكل مسلم ينهى عن الصلاة: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ١٩﴾، بل تقرَّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ويدخل في هذا: كل من نهى عن خير، وكل من نهى عن طاعة، هذا أبو جهل نهى عن الصلاة،

ومن الناس من ينهى عن الحجاب، ويأمر أقاربه وقريباته بعدم الالتزام بالحجاب، ويأمر بالاختلاط. ومن الناس من يأمر بالغش، ومن الناس من يأمر باليمين الفاجرة، ومن الناس من يأمر بالكذب، ومن الناس من يأمر بمعاص كثيرة وينهى عن خير كثير، هؤلاء مُتشبهون بأبي جهل الذي نهى عن الخير؛ فأعد نظرا يا عبد الله، في كل ما تعمل، وفي كل ما تقول، فربما أمر الإنسان بمعصية، سواء في مناسبات أو في غيرها في الأعراس أو في الأعياد أو غيرها، فربما أمر بالغناء أو بالاختلاط أو بالتبرج أو غير ذلك، فإن هذا أَمَرَ بشرٍّ، ونهى عن خير، فيقال له: كلا لا تطعه، لا تطعه في معصية الله، قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخالقِ**»، وقال: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(١)]

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ بمنِّه وكرمه أن يبارك لي ولكم في القرآن كريم اللهُمَّ حبب إلينا

(١) الحديث في الصحيحين، البخاري (٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠) عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بلفظ: «**لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ [اللهِ]، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**» والزيادة لمسلم. وأما اللفظ المذكور -«**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخالقِ**»-، فأخرجه بهذا اللفظ القضاعي في مسند الشهاب (٨١٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٤٧٩٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، والحديث أخرجه أحمد (١٩٨٢٤، ١٩٨٣٢، ١٩٨٨٠، ١٩٩٠٤) عن أيوب. وهشام. ويزيد بن إبراهيم ثلاثتهم عن ابن سيرين به بلفظ: « **لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**» وفي لفظ «**لا طاعة لأحد...**» وفي لفظ «**لا طاعة في معصية الله**». وأخرجه البغوي في شرح السنة (١٠/ ٤٤) عَنِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ، وأخرجه ابن أبي شيبة في آخر كتاب الجهاد من المصنف (١٢) عن الحسن مرسلا. وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٤٤٣) عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوقوالعصيان، واجعلنا من الراشدين اللهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واخذل أعداء الدين اللهُمَّ انصر دينك وكتابك، وسنة نبيك وعبادك المؤمنين اللهُمَّ أحينا على التوحيد والسنة، وأمتنا على التوحيد والسنة اللهُمَّ لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب اللهُمَّ اهد ضالنا وثبت مهتدينا اللهُمَّ اهد ضالنا وثبت مهتدينا اللهُمَّ اهد ضالنا وثبت مهتدينا واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وإخواننا المسلمين الأحياء منهم والميتين اللهُمَّ أجمع كلمة المسلمين على الحق المبين اللهُمَّ احقن دماء المسلمين، واجمع كلمتهم على الحق المبين اللهُمَّ احقن دماء المسلمين واجمع على الحق المبين، وافرج عنا ما نحن فيه، عاجلًا غير آجل، على الوجه الذي يرضيك يا رب العالمين

أقول ما تسمعون والحمدُ لله ربِّ العالمين

تم بحمد الله